

نساء العرب والحرب

للساء في الاسلام حضارة واسعة المدى مترامية الاطراف إذ نبغ منهم من اشتهر بالعقل والحكمة وسعة الاطلاع وكان لهم أكبر تأثير في الهيئة الاجتماعية والانقلابات السياسية وضربن بسهم وافر في مختلف العلوم حتى ظهر منهم من قدن الجند وتولين الملك ومن شغلن مراكز كبيرة في الدولة . فضلا عن المشتغلات بالفنون الجميلة والكاتبات والشاعرات والطيبات والمشتغلات بعلوم الحديث والفقه حتى أن جهاذة الرجال اخذوا عنهن وأجرن (١) للكثير منهم مثل العلامة ابن عساكر المحدث والمؤرخ وأبو نواس الشاعر المشهور والعلامة ابن حجر العسقلاني المؤرخ وغيرهم مما لا تتسع هذه العجالة لذكرهم

وقد حفظ لنا التاريخ أسماء النابغات منهم منذ صدر الاسلام الى وقتنا هذا . وسندلى بشذرات صغيرة عن اشتراكهن في ميادين القتال ومداوتهن الجرحى واكلابهن بما هن وحليهن لمساعدة الجيوش

غزوة بدر — سنة ٢ هـ — ٦٢٤ م في هذه الغزوة تقدمت أم سليم ورقة بنت نوفل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت له ائذن لي في الغزو معك امريض مرضاكم لعل الله يرزقني الشهادة . قال قومي في بيتك فان الله عز وجل يرزقك الشهادة . فكانت تسمى الشبيدة

غزوة احد شوال سنة ٣ هـ مارس سنة ٦٢٥ م من ابطال هذه الغزوة أم حبيب نسيبة بنت كعب

وكانت أم قيس بنت عبد الله تملأ الماء في القرب وتسقى الجيش وبينما كان المسلمون يتقاتلون كانت النساء في حصن حسان بن ثابت ومعهن صفية (٢) عمة النبي صلى الله عليه وسلم وإذا يهودى بطوف بالحصن فنزلت صفية

(١) الاجازة بمثابة الشهادة في عصرنا

(٢) في تاريخ الاسلام للذهبي أنها كانت يوم الخندق

وأخذت سيفاً وقيل هراوة فضربت اليهودى حتى قتلتها.

غزوة تبوك — سنة ٦٣٠ هـ فيها اعان النساء الجيش بكل ما قدرن عليه وقدمن

لرسول الله صلعم معاضد وخللاخل وأقراطا وخواتيم لاعانة المسلمين فى جهازهم
والناس فى عسرة شديدة

فتح اليمامة — سنة ٦٣٣ هـ ١٢ م من نابغات النساء فى هذه المعركة أم حبيب

نسيبة بنت كعب ظلت تقاتل حتى انصرفت وبها جراحات. وأم عمار بنت كعب الانصارية

واقعة القادسية سنة ١٤ هـ — ٦٣٥ م اشترك فى هذه الواقعة الصبيان والنساء

مع المجاهدين فكان يدفن الشهيد وتحمل اليهن الجرحى لمعالجة كلوهم

ومن الشجاعات فى هذه الواقعة الحنساء الشاعرة. قاتلت ومعها نبوها أربعة

رجال فقالت لهم أول الليل

ويا بنى انكم أسلتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذى لا اله الا هو انكم

لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم

ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم. وقد تعلقون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل

فى حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية. يقول الله عز وجل

ويا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فاذا أصبحتم

غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين،

فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطربت لظى على ساقها، وجلت ناراً على

أرداقها، فلتيمموا وطيسها وجاللوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالمغنم والكرامة

فى دار الخلود والمقامة، فخرج بنوها قائلين لنصحها عازمين على قولها. فلما أضاء لهم الصبح

بادروا إلى مراكزهم واستمروا يقاتلون حتى قتلوا رحمهم الله تعالى فبلغها الخبر فقالت

الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعني بهم فى مستقر رحمته

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد

مائتا درهم حتى توفى.

ومن نظمها

تعرقى الدهر نهسا وحزاً واوجعنى الدهر قرعاً وغمزاً

وأقنى رجالى فبادوا معا فأصبح قلبى منهم مستقرا
ومن ظن بمن يلاقى الحروب بأن لا يصب قد ظن عجزا
وفيها تقول

ونلبس للحرب أثوابها ونلبس فى الامن خزا وقزا
مرج الصفر - سنة ٥١٤ (٦٣٥ م) أقام المسلمون بها خمسة عشر ليلة من الحرم
ثم رجعوا إلى دمشق فحاصروها ستة أشهر إلا يوماً
ولما كانت وقعة اجنادين التقوا على النهر واشتد القتال وانتصر المسلمون وقتلت
يومئذ أم حكيم أربعة من الروم بعمود فسطاطها

واقعة اليرموك (سنة ١٥ هجرية - سنة ٦٣٦ م) فى هذه الواقعة انتصر المسلمون
انتصارا باهرا على الروم وكان للنساء فى هذا النصر نصيب يذكر بكل ثناء وإعجاب
فقد قاتل نساء من قريش بالسيوف حين دخلن العسكر. منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام
ولقد كان لهن فى هذه الواقعة مواقف مشهودة واليهن يرجع الفضل فى نصرته المسلمين
ففى ميدان القتال بعد ان خطب ابوسفيان بن حرب فى الجيش مشجعا ، رجع الى النساء
اللاتى مع المسلمين. وكان كثير من المهاجرات قد حضرن يومئذ مع أزواجهن وبناتهن
وجلسن خلف صفوف المسلمين فأمر بالحجارة فالقيت بين أيديهن ثم قال لا يرجع
اليكن أحد من المسلمين الا رميته بهذه الحجارة وقلن له (من يرجوكم بعد الفرار
عن الاسلام وأهله عن النساء وهم أمام العدو . الله الله)

ولما نشبت الحرب بين الفريقين وحى وطيسها تقهر بعض المقاتلين من المسلمين
فاستقبلهم النساء ومعهن عمد البيوت وأخذن يضربن وجوههم ويضربونهم
بالحجارة

وفى أثناء القتال انكشف فريق من المسلمين وثبت فريق آخر وركبت الروم اكتاف
من انهزم حتى دخلوا معهم المعسكر فاستقبلهم نساء المسلمين بعمد الفساطيط يضربن
بها وجوههم ويرمونهم بالحجارة ويقلن أين أين عز الاسلام والامهات والازواج ،
فيعطف الذين انهزموا الى باقى صفوف المسلمين

واستمر القتال حتى شهد طرف من الروم على عمر بن العاص فانكشف هو وأصحابه

حتى دخلوا أول العسكر وهم في ذلك ينشدون و يقاتلون فنزل النساء بعمدهن من التل
فضربن وجوه الرجال . ونادت في الناس ابنة العاص (قبح الله رجلا يفر عن خليلته،
وقبح الله رجلا يفر عن كريمته)

وسمع نسوة منهن يقرن لستم بعولتنا ان لم تمنعونا ، فترد المسلمون وزحف عمرو
وأصحابه حتى عادوا الى قريب من موقفهم واجتمع المسلمون وحملوا على الروم حتى
اضطروهم الى صفوفهم وشد المسلمون باجمعهم شدة واحدة حتى تم لهم النصر
ومن بطلات هذه الواقعة اسماء ابنة يزيد فأنها قتلت بعمود خباثتها تسعة ومنهن
هند ابنة عتبة ام معاوية بن ابي سفيان

ومنهن أيضا خولة بنت ثعلبة الانصارية

واقعة صفين سنة ٣٨ هـ ٦٥٨ - ٥٩ م

كانت بين علي بن أبي طالب رضى الله عنه ومعاوية، وكان للنساء فيها شأن يذكر
وكان يسمع نداء الزرقاء ابنة عدى وهي تحض على القتال وتوقد الغيرة في صدر
الجبان وتجمل الحياة رخيصة . ولكن هذه العجالة تضيق عن حصر كلماتها هي
ومن ساذكرهن

فما قاله

وأياها الناس ان الحق كان يطلب ضالته فاصلها فصبوا يا معشر المهاجرين على
الفصص فكان قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة الحق ودمغ الحق بالظلمة فلا
يجملن أحد فيقول كيف وافى يقضى الله أمرا كان مفعولا . الا وأن خضاب النساء
الحناء ، وخضاب الرجل الدماء . . .

ومنهن عكرشة ابنة الأطرش كانت متقلدة سيفا وتنادى في صفوف المجاهدين
وأياها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم . ان الجنة لا يرحل من
توطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها . فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا
تنصرم همومها وكونوا قوما مستبصرين في دينهم مستظهرين بالصبر على
طلب حقهم.

ومنهن أم الخير ابنة حريش فأنها كانت تحرض الفرسان على الثبات وتوجج في

قلوبهم نار الحمية بما يهجنهم من الأقوال الحماسية، والمظاهر التي تلهب لها الصدور
غيرة فمن قولها

يا أيها الناس: اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم. ان الله قد أوضح لكم
الحق واثبان الدليل وبين السبيل ورفع العلم ولم يدعكم في عماء مداهم. فإين تريدون
رحمكم الله. أفرارا من أمير المؤمنين أم فرارا من الزحف، أم رغبة في الاسلام، أم
ارتدادا عن الحق. أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين ونبلو أخباركم ...

غزاة امرأة شبيب

وفي سنة ٧٧ هـ (٦٩٦ م) حصلت وقائع بالموصل بين الحجاج وشبيب بن يزيد بن
نعيم فبعث إليه الحجاج خمسة قواد قتلهم واحدا بعد واحد ثم خرج الحجاج لقتاله .
وكان يقاتل مع شبيب ام جهزة وامراته غزاة وكانت غزاة من الشجاعة
والفروسية بالموضع العظيم تقاتل في الحروب بنفسها . ولقد نذرت مرة لتصلين
في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما سورتي البقرة وآل عمران فاقدمت على المسجد
في سبعين فارسا فصلت فيه الغداة وخرجت من نذرهما . وبرزت يوما للحجاج
فكشفته عن عسكريه وقصدت الراية فولى بين يديها منهزما وفي ذلك يقول من يهجو
أسد على وفي الحروب نعامه فزعاه تفزع (١) من صفير الصافر
هلا برزت الى غزاة في الوعى بل كان قلبك في جناحي طائر
في سنة ٨٠ هـ ٦٩٩ م سار يزيد بن أبي كبشة فالتقى هو والريان النكري
بالبحرين. ومع الريان امرأة تقاتل اسمها جيذا وما زالت تقاتل حتى قتلت
وفي سنة ١٢٣ هـ ٧٤٠ - ٤١ م - خرج عشرون ألفاً من الروم ونزلوا ملطية
فأغلق أهلها أبوابها وظهر النساء على السور عليهن العمام (٢) وقاتلن .
ولو الدرة رافع (٣) الأقطع أمير العرب بنواحي بغداد أرام جيده في الحروب

(١) وفي رواية فتخاء تجفل من صفير الصافر

(٢) العمام . من أزياء النساء استعملت منذ الصدر الأول للاسلام وظلت موجودة

الى القرن الثالث عشر الهجرى

(٣) توفي رافع المذكور سنة ٤٢٧ هـ

فتح أسوف ٦٦٣ هـ ١٢٦٥ م افتتحها الملك الظاهر بيبرس واشترك النساء مع المجاهدين وقد قن بمداواة الجرحى والقيام بخوانج الجيش ومنهن من تولى جر المنجنيق وهو عمل شاق بمثابة عمل الطوبجي في الجيش

حرب الوهايين سنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٣ م . سافر طوسون باشا من الطائف ومعه ٢٠٠ جندي للغارة على تربة، لحرب الوهايين ولم يحصل من قبائل العرب مقاومة أشد مما أجراه عرب أبي جوم في تربة وكان قد لجأ اليها معظم عساكر الشريف غالب وصارت تجمع كل الوهايين الموجودين في الجنوب . كما أن الدرعية تجمعهم في الشمال . وكان قائد هؤلاء العربان في هذا الوقت أرملة اسمها غالية كان زوجها أشهر رجال هذه الجهة، وكانت هي على غاية من الغنى والثروة فوزعت جميع أموالها على فقراء العشائر الذين يرغبون في محاربة الترك ، فلما أمر عساكره بالهجوم كان العرب محافظين على أسوار المدينة بشجاعة ومستبشرين بوجود غالية معهم وهي المقدمة عليهم فصدوا طوسون وعساكره

وفي اليوم الثاني شرع طوسون وعساكره في التقهقر فاضطروا إلى ترك خيامهم وسلاحهم وكانت النتيجة المنتظرة لهذا الفشل أن يموت جميع العساكر لو لأن شردمة من الخيالة استردوا مدفعاً وحفظوا به خط في الرجعة وتعطلت بعد ذلك الاجراءات الحربية بمائة عشر شهراً

(شذرات عن شجاعته)

أم عطية الانصاري بنسية . روى عنها أنها قالت غزت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات فكنت أصنع لهم طعامهم وأخلفهم في رحالهم وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى روى لنا الذهبي في تاريخه أن أسماء ابنة أبي بكر اتخذت خنجراً في زمن سعيد ابن العاص للصوم ، وكانوا استفزوا من المدينة فكانت تجعله تحت رأسها . جرح فتى من العرب فجاء إلى أمه يستسقيها ماء فقالت له ان الماء لن يفوتك أبداً . اذهب فخذ ثارك ، وأخرجته ولم تسقه . هذه بحالة صغيرة عن اشتراك النساء المسلمات في القتال راعيت فيها الإيجاز اتقاء للبلل . وقد أعطتنا صورة واضحة عن شجاعته في عصور الاسلام وما كان لهن من أثر حسن في الفتوحات الاسلامية ؟

حسن عبد الوهاب